

وذلك لأن الله تعالى أثنى على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنی، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَدِّمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأُصْبِحُوا عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأُصْبِحُوا عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأُصْبِحُوا عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

وأما ما يروى عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهو حديث ضعيف لا يصح، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر: قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم، حيث قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلی الله علیه وسلم، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه».

إثبات تقديم الخلفاء تبعاً لفضلهم وعلو شأنهم

وقول الطحاوي: (وبغضهم كفر ونفاق) تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَاذِبُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الطحاوي: (وثبتت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ ، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة).

لكن اختلف أهل السنة في خلافة الصديق ﷺ : هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي. وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار:

من ذلك: ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: «أتت امرأة النبي ﷺ ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرايت إن جئت فلم أجذك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر». وذكر له سياق آخر، وأحاديث آخر. وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ : «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر» رواه أهل السنن.

وفي الصحيحين عن عائشة ﷺ وعن أبيها، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر».

وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

وفي الصحيح أنه ﷺ قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر».

واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف».

والظاهر والله أعلم أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبيّنه بيّناً قاطعاً للعدر.

فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله».

قال الطحاوي: (ثم لعمر بن الخطاب ﷺ).

أي: وثبت الخلافة بعد أبي بكر ﷺ، لعمر ﷺ، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله ﷺ أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر. فقد روي عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علي بن أبي طالب ﷺ: «يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوما تعرف؟ فقلت؟ لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين».

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس ﷺ، قال: وضع عمر على سريره، فتكفاه الناس يدعون ويشنون ويصلون عليه، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إن كنت لأظن أن

يجعلك الله مع صاحبك، وذلك أني كنت كثيرًا ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهم.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك».

*** قال: (ثم لعثمان رضي الله عنه).**

أي: وثبتت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنه، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان، في صحيحه، فأحببت أن أسردها، كما رواها بسنده: عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟

قالا: حملناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل.

قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق.

قالا: لا.

فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا. قال عمرو بن ميمون: فما أتت عليه إلا أربعة حتى أصيب.

قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني، أو أكلني الكلب، حين طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنسًا، فلما ظن

العلج أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟

فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة.

قال: الصنع؟

قال: نعم.

قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئت فعلت؟ أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلكم، وحجوا حجكم؟

فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول: لا بأس عليه، وقاتل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة.

قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي.

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين؟ فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانون ألفًا أو نحوه.

قال: إن وفي له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقالت: كنت أريده لنفسِي، ولأوثرن به اليوم على نفسي.

فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء.

قال: ارفعوني.

فأسنده رجل إليه.

قال: ما لديك ؟

قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.

قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف.

قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا،

وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئتهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردة الإسلام، وجباة الأموال، وغيط العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم، عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض، خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر ابن الخطاب؟

قالت: أدخلوه.

فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط.

فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي.

فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان.

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم في نفسه.

فأسكت الشيخان.

فقال عبد الرحمن: أفجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم.

قالا: نعم.

فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك، لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن.

ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك.

فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم، فمال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها فبايعنا عثمان.

قال المسور بن مخرمة: طرقتني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استقيظت، فقال: أراك نائماً! فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً.

فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتى أبهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أراهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله ﷺ والخليفين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس

والمهاجرون والأنصار وأمرء الأجناد والمسلمون، ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كونه ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه.

وفي صحيح مسلم، عن عائشة، قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في بيته، كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟ ».

*** قال: (ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه).**

أي: وثبتت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما. لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء ». وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وأول ملوك المسلمين معاوية، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية، فظهر صدق قول النبي صلى الله عليه وسلم: « إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ».

فالخلافة ثبتت لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام. والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهوة في نفوس

ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام، وكان في عسكر علي عليه السلام من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام عليهم السلام أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه. فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين، لرأي وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم، وهم كافون حتى تجتمع الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، و علي عليه السلام هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله والخليفين من بعده مما يسوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها.

ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما في الصحيحين، عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجل يفتح الله على يديه» قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «فبات الناس يدركون ليلتهم، أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عنيه يا رسول الله، قال: فأرسلوا إليه فأتوني به، فلما جاء: بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» «ففتح الله عليه».

* قال: (وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

لقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، وعلى هذا عامة أهل السنة، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

العشرة المبشرون بالجنة وبعض مناقبهم

* قال الطحاوي: (وان العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين).

وقد تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين: ما رواه مسلم: عن عائشة رضي الله عنها قالت:

« أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يجرسني الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي ﷺ: من هذا؟ فقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، جئت لأحرسك، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام». وفي الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه يوم أحد، فقال: ارم فذاك أبي وأمي».

وفي صحيح البخاري، عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد قد شلت».

وفي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي، قال: «لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد».

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال: «ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندمهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: لكل نبي حوارٍ، وحواريّ الزبير».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا -أيها الأمة-: أبو عبيدة بن الجراح».

وفي مسند أحمد وجامع الترمذي أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعلى في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

وسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، وكان أبوه حنيفاً على ملة إبراهيم -عليه السلام-.

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمتهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم.

البراءة من النفاق: بإحسان القول في الصحابة وآل البيت

قال الطحاوي: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق).

وذلك لقول النبي ﷺ في صحيح مسلم:

«أنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

الذكر الجميل لعلماء سلف الأمة وفقهائها

* قال: (وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرهم إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، وهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ. ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه: فلا بد له في تركه من عذر.

وجماع الأعدار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

علوم مقام النبوة

قال: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء -عليهم السلام-، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء).

إذ إن مقام النبوة هو أعلى المقامات باتفاق أهل السنة.

كرامات أولياء الله تعالى

قال: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم).

والمعجزة في اللغة تعم كل خارقة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثيرًا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي. وجماعها: الأمر بالخارق للعادة.

معنى الكرامة

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى. وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين. ولهذا أمر النبي ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن

أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أول أولي العزم، وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل، وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك؛ وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغني عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو عادة أغلب الناس. فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

ثم الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البغض.

أنواع الخوارق

فالخارق ثلاثة أنواع:

محمود في الدين، ومذموم، ومباح، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.